قيـــاس النيـــــل فـي العصـر الإسلامـــي

د. سوزي أباظة محمد حسن داود الأستاذ المساعد (*)

مـقـدمـة :

النيل هو عصب الحياة على أرض مصر ولهذا حظى باهتمام جميع المصريين على مر عصورهم المختلفة ، وكرسوا كل جهودهم لمعرفة طبيعة هذا النهر وتتبع أوقات وفائه ، وترقب حاله وقت فيضانه ، وذلك لما يمثله هذا النهر من أهمية بالنسبة إلى زراعة المحاصيل المختلفة وتقدير الخراج عليها ، فهناك علاقة وثيقة بين ضريبة الأرض ومقياس النيل. ونطراً لذلك فقد اهتم المصريون بقياس مياه النيل فشيدوا له المقاييس التي كان اخرها مقياس الروضة ، وخصصوا له موظفاً مختصاً بذلك كانت له هيبة وقداسة دينية لدى الحكام والرعية لأهمية الوظيفة التي كان يؤديها.

وعلى الرغم من كثرة ما كتب عن نهر النيل ومقياسه فإنه لا يوجد فيما نما إلى علمي دراسة تفردت لـ"قياس النيل في العصر الإسلامي" وأن ما كتب عن ذلك هو عبارة عن معلومات متفرقة في ثنايا المصادر، ومن ثم فقد وقع اختيارنا على دراسة هذا الموضوع لما له من أهمية في كشف الكثير عن كيفية قياس النيل وتصور حالة الحياة على أرض مصر من معرفة قياسه مبينيين كيفية القياس ومراسيمه وطقوسه وماهي الأسرة التي تولت أمر هذا المقياس وما هي الاحتفالات التي يشارك فيها هؤلاء القياسون.

وقد انطلقت هذه الدراسة من خلال تساؤلات عديدة حاولت الإجابة عليها وفقاً لما وفرته المادة المصدرية المتاحة ، وهي :

(*) بقسم التاريخ (تاريخ إسلامي) بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة

ما أهمية النيل والمقياس بالنسبة لمصر وأحوالها ؟ وما هي اختصاصات ومهام القياس؟ وكيف يقاس النيل؟ وما هي أوقات القيأَّس وطقوس ومراسيم ذلك؟ وما هي الأسرة التي تولت أمر المقياس؟ ومن الذين يساعدون القيأَّس في أداء عمله؟ وما هي علاقة القيأَّسين بالسلطة الحاكمة؟ وما هي الاحتفالات والمواكب التي يشارك فيها القيأَّس عندما يأتي بالبشرى بوفاء النيل؟ وما هي الهبات والمنح التي كانت توهب له؟

وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى نقاط عديدة وذلك على النحو التالي :

أولاً – النيل وأهميته بالنسبة لمصر وأحوالها.

ثانياً – المقياس وتطور بنائه في العصر الإسلامي.

ثالثاً – وظيفة قيأَّس النيل.

رابعاً – الأسرة التي تولت أمر المقياس.

خامساً – علاقة القيأَّس بالسلطة السياسية.

سادساً – المواكب الاحتفالية التي يشارك فيها القيأَّس ، والهبات والمنح التي وهبت له.

- خاتمة.

- قائمة المصادر والمراجع.

أولاً – النيل وأهميته بالنسبة لمصر وأحوالها:

يعتبر نهر النيل هو الضابط لحركة الحياة على أرض مصر ، فهو يمثل كل شئ بالنسبة لها ، فليس ثمة شيء أكثر أهمية من النيل في حياة مصر والمصريين على مر عصورها المختلفة.

وقد تفرد نيل مصر بخصوصيات جعلته متميزاً عن بقية الأنهار الموجودة على سطح الأرض ، وهذه الخصوصيات رصدتها المصادر القديمة التي تحدثت عن فضل مصر ونيلها ، ومن هذه الخصوصيات أنه يجري من الجنوب إلى الشمال ، كما أنه يزيد في وقت الحر حين تنقص الأنهار الأخرى ، وحين يبدأ في النقصان تزيد الأنهار ، ولا يوجد في الدنيا نهر تزرع على ضفافه المحاصيل المختلفة مثلما يزرع على ضفاف نهر النيل ولا يجبي خراج مثلما يجبي من خراجه(١).

ومن فضائل النيل ما ذكره كعب الأحبار إذ يقول :

أربعة أنهار في الجنة وضعها الله في الدنيا : النيل نهر العسل ، والفرات نهر الخمر ، وسيحان نهر الماء ، وجيحان نهر اللبن(٢).

وكان لنهر النيل أثره وبصماته الواضحة على حياة المصريين ، مما جعل بعض الحكماء يصفون حركة الحياة فى مصر خلال السنة بما يفعله نهر النيل فيها ، فقالوا عنها : إنها ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وقت فيضان النيل ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء وذلك وقت نضوب الماء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء فى وقت طلوع الزرع ، وثلاثة أشهر سبيكة حمراء وذلك وقت نضج الزرع(٣).

فهذا الوصف يشير إلى مدى اعتقاد البعض فيما يفعله نهر النيل فى أرض مصر طوال فترات السنة وتأثيره على أحوالها المختلفة . ويبدو أن هذا مما دعا فرعون موسي أن يقول كما حكي القرآن الكريم **«يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ»**(٤).

وهذه الأنهار التي ذكرت هى الخلجان السبعة : خليج الاسكندرية ، ودمياط ، واسَرْدوس، وخليج منف وخليج سحا ، وخليج الفيوم ، وخليج المنتهي. وكل واحد منها يتفرع منه عدة خلجان ، وكانت هذه الخلجان متصلة الجريان لا تنقطع عن الزرع والبساتين ، وتمتد من أول أرض مصر إلى آخرها(٥).

وقد أشار القرآن الكريم إلى مدي النعيم الذى كان يتمتع به فرعون وآله من جنات وعيون وزروع، وهي نعم يمثل فيها نهر النيل المقوم الأساسي، فقال تعالي: **«كَم تَرَكُوٓاْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٖ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ»**[٦].

واحتل هذا النهر مكانة كبيرة لدى المصريين منذ القدم ، وهذه المكانة وضحت أهميتها منذ أن دخل العرب الفاتحون إليها ، فقد ربطوا الرخاء الذى تمتعت به مصر بالنيل وما يجلبه من رخاء على أرضها ، وهذا يتضح من خلال الوصف الذى ذكره عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب حينما طلب منه الأخير أن يصف له مصر كأنه ينظر إليها ، فذكر له وصف نيلها وفيضانه وأثره على حركة الحياة فى مصر وحضارتها فقال عنها:

«فبينما هى مدرة سوداء إذا هي لجة زرقاء ، ثم غوطة خضراء ثم ديباجة رقشاء ، ثم فضة بيضاء» ، «فتبارك الله أحسن الخالقين»[٧].

وهكذا تكرر ربط رخاء مصر بنيلها وما يفعله فى أرضها من رخاء وقد حرَك ذلك قريحة الشعراء فقيلت أشعار كثيرة حول أهمية النيل بالنسبة للحياة فى مصر[٨].

وعندما أتي العرب إلى مصر وضعوا الخطوط العريضة لسياستهم فى مصر وحرصوا على تأمين المصريين على سر حياتهم وهو نهر النيل ، فحددوا الضريبة على الأرض الزراعية على أساس فيضان النهر وجعلوها على ثلاثة أقساط فى السنة[٩].

ثانياً المقياس وتطور بنائه فى العصر الإسلامي:

لما كانت معرفة أحوال النيل من الضروريات الهامة ، كان من اللازم بناء مقياس[١٠] لقياس مقدار المياه فى النيل التي تكفي لروي أرض مصر ومعرفة أوقات الزيادة أو النقصان ، وأيضاً معرفة المعيار الحقيقي عن حالة الحياة على أرض مصر من الزراعة ومن مقدار خراج الأرض، وهكذا كان لا يعرف حال النيل إلا بهذا المقياس.

وقد كانت هناك مقاييس متعددة فى مصر قبل العصر الإسلامي ، ويعتبر يوسف بن يعقوب أول من قاس النيل ووضع مقياساً فى مدينة منف سمي ببيت الفيضان ، ثم أقامت دلوكة العجوز مقياساً فى أخميم وآخر فى أنصنا، وكان الذراع

الذي يقاس به صغيراً ، ويقال إن هناك مقاييس قد بنيت فى حرم المعابد وكان لها أغراض أخرى غير القياس فقد استخدموها فى توصيل مياه الفيضان إلى المعابد لاستخدامها فى مراسيم العبادة[١١].

ولما فتح العرب مصر اهتموا ببناء مقاييس جديدة للنيل ، حيث بني عمرو بن العاص مقياساً للنيل فى أسوان عند دندرة ، ثم أعاد عبد العزيز بن مروان الحياة لمقياس حلوان فى سنة ٨٠هـ/٦٩٩م وجعله يعمل مرة ثانية ، ثم بني أسامة بن زيد التنوخي فى خلافة سليمان بن عبد الملك مقياساً بالجزيرة وكان ذلك فى سنة ٩٧هـ/٧١٥م ، ولما هدمه الماء بني المأمون مقياساً اخر. وفى عام ٢٤٧هـ/٨٦١م بني المتوكل (٢٠٦-٢٤٧هـ/٨٢١-٨٦١م) مقياساً كبيراً فى ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر وهو مقياس الروضة ، وقد أمر ببطلان سائر المقاييس وجعل العمل فى هذا المقياس وسماه المقياس الجديد والهاشمي[١٢]، وهو آخر مقياس تم بناؤه فى مصر ، وقد كتب عليه لوحة بسنة إنشائه والغرض من إنشائه وهو التعرف على مقدار زيادة النيل ونقصانه[١٣].

وهذا المقياس عبارة عن عمود من الرخام الأبيض مثمن وضع فى مكان ينحصر فيه الماء عند انسيابه ، وقد تم تقسيم هذا العمود إلى اثنين وعشرين ذراعاً ، كل ذراع مقسمة إلى أربع وعشرين قسماً متساوية تعرف بالأصابع ، أما عدا الاثنتي عشرة ذراعاً الأولي فهي مقسمة إلى ثمانية وعشرين أصبعا فى كل ذراع[١٤].

ويقال إن السبب فى ذلك أنهم رفعوا الأمر إلي المتوكل بست عشرة ذراعاً ، وعندما أعادوا النظر وجدوا أن القدر هو ثماني عشرة ذراعاً فأرادوا ألا يرفعوا الأمر إلى المتوكل مرة ثانية حتي لا يصفهم بالعجز ، فاتفق رأيهم على أن يقسموا الذراعين على الاثنتي عشرة المتقدمة فيكون الذراع فيها ثمانية وعشرين أصبعاً ، فاستقر الأمر على ذلك المقدار[١٥].

وكان يُنزل إلى الفسقية بدرج دائر حتي أسفلها ، وفي وسطها عمود المقياس قائماً ، وهو عبارة عن قطع من الرخام بوسطها عمود حديد يمسك هذه القطع ، وبأعلي القاعدة سقالة خشب مجوفة محشوة رصاصاً تثقل العمود ، وتصل مياه النيل إلى هذه الفسقية من ثلاثة أسراب بعضها فوق بعض ، طول كل منها نحو سبعين

ذراعاً ، والحكمة فى ذلك أن السرب إذا كان قريباً يتحرك الماء داخل الفسقية وإذا كان بعيداً لا يتحرك داخلها[١٦].

ومن خلال هذا المقياس يتم التعرف على النهايتين المخوفتين فى الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار ، وهاتان النهايتان يحدث تغير فى مقدارهما فى كل فترة ، ففي أيام الفتح بلغ الحد أثنتي عشر ذراعاً في النقصان ، وثماني عشر ذراعاً في الزيادة[١٧] ، ولما قلت الأرض من الطمي الذي يأتي إليها فى كل عام تغير هذا المقدار فكانت الزيادة ست عشرة ذراعاً وفيه تمام الخراج ، وإذا زاد إلي ثماني عشر استبحرت الأرض ثم تغير مقدار الزيادة فوصل إلى ثماني عشر ذراعاً فما حولها وربما زاد إلي العشرين[١٨].

تلك كانت القاعدة فى السابق ، ولكن الأمر تغير بعد ذلك فى تقدير مقدار الزيادة والقواعد التي تروى منه الأرض نتيجة علو الأرض ، وسارت أرض مصر لا تروى إلا من عشرين ذراعاً أو إحدي وعشرين ذراعاً. وفي بعض السنوات بلغت الغاية القصوي من الزيادة ثماني عشر ذراعاً ، وفي الصعيد الأعلي بلغت اثنتين وعشرين ذراعاً لارتفاع البقاع التي يمر عليها ويسوق الري إليها[١٩].

وهكذا حدث تغير في مقدار الزيادة التي تروي أرض مصر منها ويؤخذ على أساسها مقدار الخراج والتي لا يعرفها إلا القيَّاس ، فما هي وظيفته ؟.

ثالثاً – وظيفة قيَّاس النيل:

تعتبر وظيفة القيَّاس من أهم وظائف الدولة وذلك لارتباطها بالنظر فى نعمة عظيمة من أنعم الله على عباده وهي المياه ، ومعرفة مقدارها وقياسها لتصور نبض الحياة على أرض مصر ، فتطلب ذلك الدقة فى اختيار من يقوم بهذه الوظيفة على الوجه الأكمل ، ويطلق على من يتولي هذه الوظيفة «القيَّاس» وهي تعد وظيفة دينية مباركة. ولم يكن القيَّاس هو الاسم الوحيد الذي أطلق على من كان يشغل هذه الوظيفة ، فهناك عدة أسماء أخرى كانت تطلق عليه منها : صاحب المقياس، ومتولي المقياس، وشيخ المقياس ، وأمين المقياس ، وأمين البحر ، وحارس المقياس، وأيضاً قاض المقياس.

ويعد اسم أبي الرَّدار من أشهر الأسماء التي ارتبط اسمها بهذه الوظيفة ، وأبو الرَّدار هذا هو أحد أجداد عبد الله بن عبد السلام بن أبي الرَّدار الذي كان يعمل بتلك المهمة ، وقد أشتهر عبد الله باسم عائلته (أبو الرَّدار) وهي عائلة كانت لها مكانتها وكانت تسكن أحد الشوارع المشهورة بمصر القديمة[٢٠].

وكان على القيَّاس قبل هذا العمل أن يقوم بعدة طقوس ، وكانت هذه الطقوس أساسية، مارسها القياسون جيلاً بعد جيل وورثوها بعضهم عن بعض ، ولا يتخلون عنها وإلا اعتبروا مقصرين فى أداء مهمتهم التى كان ينظر إليها على أنها وظيفة دينية مباركة. من هذه الطقوس أنه كان ينظر إلى المقياس علي أنه مكان مقدس طاهر ، ولذلك كان القيَّاس يحرص علي الدخول فيه وهو علي طهارة كأنه يؤدي صلاته ، وكان يمنع من الدخول للمقياس الرجل الجنب والمرأة الحائض وذلك لتشاؤمهم من هؤلاء[٢١] لأنهم لا يتمتعون بالطهارة المطلوبة.

وقد مرت عملية القياس بعدة مراحل منذ العصور القديمة حتى وصلت إلى ممارسة نُظِّم التزم بأدائها القياسون أجيالاً متعاقبة ، ففي العصور القديمة كانوا يعرفون مقدار زيادة النيل بالنظر إلى ما تغمره المياه من الأرض العالية ، ثم قاسوا النيل بعد ذلك بالرصاصة المربوطة فى حبل ، فكانوا يلقونها فى مكان معين يستطيعون من خلاله معرفة كمية زيادة الماء[٢٢].

ولكن بعد بناء المقياس الجديد فى الروضة كان القيَّاس يدخل إلي المحل الذي به العمود الرخامي وينزل ويقف على الدرج الذي أمامه ويستقبل العمود ، ويكون معه عود وعصا فيقدر بها الخطوط التي على العمود ، وبذلك يعرف مستوي ارتفاع المياه[٢٣] ولأهمية هذا العود الذي يتم به القياس قال فيه الشعراء شعراً منه :

قد قلت لما أتي المقس وفي يده

عود به النيل قد عودي ، وقد نودي أيام سلطاننا سعد السعود

وقد صح القياس ببحر النيل فى العود[٢٤] وتكون هذه العملية فى اليوم الخامس والعشرين من بؤونة ، ويتم تسجيل مقدار الزيادة بعد ذلك كل يوم مؤرخاً بيومه من الشهر العربي وما يوافقه من أيام الشهر القبطي ، ويكون القيَّاس حريصاً على كتمان مقدار الزيادة حتي لا يعلمها أحد قبل الخليفة [٢٥].

فإذا بلغ القياس ستة عشر ذراعاً إلا أصبعا أو أصبعين كان يأمر بالمبيت بتلك الليلة بالمقياس ويحضر إليه قراء الحضرة والمنشدون بالجوامع يتلون القرآن الكريم ويختمون الختمة الشريفة ، ويكون اجتماعهم بجامع المقياس يراقبون وفاء الماء ستة عشرة ذراعاً فإذا أصبح الصبح يحضر ليخبر ابن أبي الرَّداد بالوفاء ويركب لتخليق المقياس(٢٦).

ومن الأمور الهامة التي كان القيَّاس يحرص على أن يتتبعها ويكون على علم تام بأوقاتها لأنها من صميم عمله حرصه على تتبع أوقات زيادة النهر ، وكان النيل عادة قبل زيادته يخضر لونه ويتغير طعمه ، والسبب في ذلك أنه وقت الزيادة يرسب الماء فى البطيحات التي فوق الجنادل فينقطع ماؤها ويتغير لونه وطعمه ، فإذا جاءت السيول بالماء الجديد ينحدر الماء القديم من البطيحات إلي أرض مصر فيقول الناس قولاً شعبياً مأثوراً وهو : البحر بتوحم(٢٧).

ومدة زيادة النيل تصل إلى ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوماً ، وهي : شهر أبيب ، ومسري ، وتوت ، وعشرين يوماً من شهر بابه ، ثم يأخذ النيل فى النقصان بعد ذلك(٢٨) ، وهذه الزيادة تحدث بشكل تدريجي كما يلي : يبدأ النيل فى الزيادة أول بؤونة ، وبعد مضي أثنتي عشرة ليلة تنزل النقطة فى ليلة الثاني عشر وتسمي ليلة النقطة ، فإذا مضي ٢٥ يوماً من بؤونة تطلع البشارة بأن الماء الموجود في قاع المقياس أعلي من الماء القديم ، وفي يوم ٢٦ من بؤونة ينادي علي النيل بما يزيد في تلك السنة ، وتستمر الزيادة في أبيب ومسري وتوت واثني عشرة يوماً من بابة(٢٩).

وهكذا كانت بداية الزيادة فى شهر أبيب ، وللمصريين في ذلك قول مأثور : يقولون : إذا دخل أبيب كان للماء دبيب(٣٠).

أما شهر مسري فكان هو شهر عرس النيل وهو مظنة الوفاء ، وقد ذكر الشعراء أقوالاً حول وفاء النيل فى شهر مسري ، منها :

وفي النيل شهر مسري فملأ بِشْرهُ قلوب العباد

جــاء فــي غــير وقتــه قلت أهلاً بحبيب أوفي بلا ميعاد(٣١).

ويقال إذا لم يوف النيل فى مسري فانتظره في السنة الأخري(٣٢) ، أما إذا وفي النيل قبل شهر مسري تعجب الناس لذلك وهذا ما حدث فى سنوات عديدة منها عام ٨٢٥هـ /١٤٢١م(٣٣).

وقد جرت العادة أن ينادي بزيادة النيل ابتداءً من ٢٧ من بؤنة حتي آخر أبيب، وتكون زيادته خفيفة ما بين أصبعين ومما حولهما إلى نحو العشرة وربما زاد ، وإذا دخل شهر مسري اشتدت زيادته وتكون علي القرب من الوفاء ، إذ تصل إلي سبعين أصبعاً ، ويزيد صبيحة يوم الوفاء أصبعين ، وله فى آخر بابة زيادة قليلة(٣٤)، والمصادر مليئة بكثير من الإشارات حول وفاء النيل وزيادته فى خلال تلك الشهور وإعلان القيَّاس له(٣٥).

وكان للقيَّاس زمن زيادة النيل عادات يتبعها ويسير عليها ، وهذه العادات تعتبر من الثوابت التي لا تتغير ، وقد توارثها القيَّاسون بعضهم من بعض أجيالاً متعاقبة . فكان القياس يقوم بقيَّاس النيل زمن الزيادة في كل يوم وقت العصر ، ثم ينادي عليه في الغد بزيادة الأصابع من غير أن يصرح بالأذرع للعامة، إلا أنه كان يقوم بالكتابة فى كل يوم إلي أعيان الدولة من أرباب السيوف والأقلام من الأمراء والقضاة والمحتسب، فيذكر زيادته فى الشهر العربي وما يوافقه من الشهر القبطي، ويذكر عدد الأصابع وما صار إليه من الأذرع أيضاً ، كما أنه يذكر ما كانت عليه الزيادة فى العام الماضي من الأصابع والأذرع ، ويقوم بالمقارنة بين العامين من حيث الزيادة أو النقص ولا يطلع علي ذلك عوام الناس، أما إذا بلغ ستة عشر ذراعاً نادي عليه في كل يوم بما زاد من الأصابع والأذرع ويصبح ذلك مباحاً ومعلناً عنه لكل الناس(٣٦).

وفي الغالب كان القيَّاس يتحري الصدق وعدم الكذب في الإعلان عن الأذرع الحقيقية التي وصل إليها القيَّاس الحقيقي للنيل ، ولكنه كان يلجأ فى بعض الأحيان إلي خلاف ذلك عندما تكون الزيادة مقلقة للناس حتى لا يُحدِث اضطراباً عندهم، ففي عام ٨٤٣هـ/١٤٣٩م في العاشر من مسري نادي القيَّاس بأن زيادة النيل وصلت إلي أكثر من عشرين ذراعاً، ومن المعروف أن النيل فى هذا الوقت لا يصل إلي ثماني عشرة ذراعاً ، فشك الناس وتوجهت جماعة منهم وشاهدوا المقياس وظهر لهم عدم صدق القيَّاس ، ولكنهم لم يعلنوا حتى لاتحدث اضطرابات ، ولما

استشعر القيَّاس ذلك صار ينادي كل يوم بإصبع مع أن الزيادة مستمرة أكثر من ذلك ، إلي أن وصل فى آخر مسري إلي تسعة عشر ذراعاً وستة عشر أصبعاً[٣٧] ، والواقع أن أمين البحر حينما أعلن أن الزيادة وصلت إلي أكثر من عشرين ذراعاً لم يكن يقصد الكذب والتضليل ، وإنما خشي علي الأهالي من حدوث اضطرابات إذا ما أعلن الحقيقة.

وهناك أوقات كثيرة كان يمتنع القيَّاس فيها عن الإعلان للناس وهو وقت وصول النيل إلي حد الفيضان، وفيه يحدث حالة من الفوضي والارتباك فى الأسعار، وتتغير أوضاع الأراضي ، فتظهر معالم أرض وتختفي معالم أخرى ، فكان النيل يندفع على هيئة طوفان عنيف يدمر ويغرق كل شئ، ويقول القبط في ذلك قولهم المشهور : أعوذ بالله من أصبع من عشرين ، لأنه إذا بلغ غرقت الضياع والبساتين وكسرت الجسور ويحدث للناس ضرر شديد[٣٨] ، والمصادر بها العديد من الإشارات عن السنوات التي وصل فيها النيل إلي أصبع من عشرين ، وحرَصُ أولي الأمر على أن يأمروا القيَّاس بعدم أعلان ذلك علي الناس ، كما ذكرت في حوادث عام ٤٠٦هـ/١٠١٥م حيث زاد النيل وغرقت البلاد وهلكت البساتين وغلت الأسعار[٣٩] ، وكذلك في حوادث عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م لما زاد النيل ووصل إلى أربع وعشرين ذراعاً وهي زيادة كبيرة ، وهنا أمر السلطان الناصر حسن ابن أبي الرِّدار بأن يبطل النداء علي زيادة ا.لنيل فى تلك الأيام. كما وصلت الزيادة إلي أصابع من عشرين ، وهذا الأمر ترتبت عليه شدة وغلاء في الأسعار فى سنوات ٧٩٣هـ/١٣٩٠م ، ٧٩٥هـ/١٣٩٢م ، ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، ٧٩٧هـ/١٣٩٤م[٤٠] وهكذا تعددت السنوات التي حدثت فيها زيادة لمياه النيل والتزم القيَّاس بعدم ذكر ذلك وإعلانه للناس ، وهذه الزيادة كان لها أثرها السئ وعلي أحوال الناس والبلاد.

أما فى حالات عدم وفاء النيل وتوقفه عن الزيادة فقد كان القيَّاس لا يعلن ذلك علي الناس أيضاً خوفاً مما كان يفعله بعض الناس عند سماعهم لمثل هذه الأخبار ، فقد كانوا يقبضون أيديهم على الغلال ويمتنعون عن بيعها.

فقد انخفضت مياه النيل في سنتي ٥٩٦-٥٩٧هـ/ ١١٩٩-١٢٠٠م ولم ترتفع في هذه المدة عن اثنتي عشر ذراعاً، فقلت السلع ، وكثر الجياع ولم يجدوا ما يتقوتون به حتي أنهم أكلوا الحمير والكلاب وخربت البلاد وخلت المساكن من أهلها[٤١].

وفي عهد المستنصربالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/١٠٣٦-١٠٩٤م) استمر الغلاء لمدة سبع سنوات وعشرة أشهر بسبب انخفاض مياه النيل[٤٢] ، وأيضاً في عهد الآمر بأحكام الله وبالتحديد في عام ٥١٨هـ/١١٢٤م بلغ النيل حوالي ثلاث عشر ذراعاً إلا ثلاثة أصابع فأصاب البلاد القحط ووقع الغلاء وانعدمت الأقوات وغلت الأسعار[٤٣]. وذهب الشعراء يعبرون عن تأثرهم بانخفاض مياه النيل ، فقال أحدهم : «تقاصر النيل عنا تقاصراً متتابعاً حتي قنعنا اضطراراً منه بمصّ الأصابع[٤٤].

وكان القيَّاس يشارك في الطقوس التي يفعلونها فى حالات عدم وفاء النيل ، منها أن يخرج القضاة والناس للاستسقاء وقراءة القرآن والحديث والتضرع إلي الله والدعاء بأن ينعم عليهم بالوفاء ، فكانوا يستسقون طلباً للهبوط والزيادة ويشاركهم القيَّاس فى كل هذه الطقوس حتي يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

ففي حوادث عام ٧٧٥هـ/١٣٧٣م توقف نهر النيل عن الزيادة وأبطأ الوفاء حتي دخل شهر توت أول السنة القبطية ، واجتمع العلماء والصلحاء بجامع عمرو بن العاص ثم توجهوا إلي المقياس فأقاموا فيه من قبل العصر إلى آخر النهار يتوسلون إلى الله ، ثم نودي بصيام ثلاثة أيام ، وكان يمشي القوم والصبيان لصلاة الاستسقاء والدعاء ويبتهلون إلى الله أن يفرج عنهم هذه الكربة[٤٥].

وفي حوادث عام ٨١٩هـ/١٤١٦م نقص النيل حوالي أربعة عشر أصبعاً فأرسل السلطان طائفة من القراء إلى المقياس فأقاموا فيه أياماً يقرؤون القرآن ويطبخ لهم الطعام ، وأمر حاجب الحجاب أن يحرق ما يجده من الأخصاص التي يظهر فيها الفساد ، ثم قدر الله للنيل بعد ذلك الزيادة إلى عشرين ذراعاً[٤٦] ، وقد تعددت السنوات التي شهد فيها النيل نقصاناً وكان القيَّاس يمتنع عن ذكر ذلك خشية حدوث الاضطرابات ، وكان يشارك الناس فى الدعاء إلي الله وقراءة القرآن حتي تنكشف الغمة ويزول البلاء بقدوم الماء فى النيل.

وهكذا كانت وظيفة القيَّاس من أهم الوظائف التي مارسها القيَّاس ولكن كانت هناك أعمال أخري قام بها القيَّاس وكانت مكملة لوظيفته ومرتبطة بالمقياس وتعد جزءاً من عمله الأساسي وهي مهمة تنظيف بئر المقياس ورفع ما يتراكم بقاعه من الطمي وغير ذلك من الأشياء التي من الممكن أن تسد البئر وتحول دون معرفة

مقدار المياه بدقة ، وهذه المهمة كانت من الأمور الضرورية الهامة لأنه عن طريقها كان يتم التعرف على المقدار الحقيقي لقياس المياه فى القاع.

وقد كان من عادة القيَّاس فى كل عام قبل أن يبلغ النيل الزيادة أن يدخل إلى المقياس ويقوم بتنظيفه من الرمال التي يأتي بها الماء وتتراكم أسفل المقياس فلا يستطيع معرفة القياس الحقيقي للنهر ، وكان القيَّاس يحرص على ألا يترك باب المقياس مفتوحاً أثناء الليل حتي لا يدخل إليه الصغار ويرموا به الحجارة التي تسد المجري وتشوه نظافة المقياس(٤٧).

كذلك أسندت إلي القيَّاس مهمة تجديد وترميم المقياس ، وهذا العمل كان يقوم به صاحب الصناعة ، ففي حوادث عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله. أمر أبو طالب العجمي صاحب الصناعة ببناء حظير دائر على مقياس النيل بالجزيرة وقد تم بناؤه بالحجر الأبيض الذي أتوا به من حظير كبير كان على شاطئ النيل ناحية طرة(٤٨).

فهذا النص يشير إلي أن صاحب الصناعة هو الذي كان يقوم بتلك المهمة من بناء وترميم لكي يساعد القيَّاس علي القيام بوظيفته ، ولكن هناك نصوص أخري أشارت إلى أن ابن أبي الرِّداد كان يمنح فى كل عام مائة قنطار جير لعمارة المكان كما حدث ذلك في عام ٥٢٢هـ/١١٢٨م(٤٩) ، وفي حوادث العام التالي ٥٥٣هـ/١١٥٨م أطلق لابن أبي الرِّداد قنطار جير لعمارة المكان(٥٠) ، فهذه كانت جراية مستمرة تمنح له حتي يستمر فى أداء عمله على أكمل وجه وبطبيعة الحال كان القيَّاس يقوم بأداء عمله على أتم وجه ، ولكن عندما كان يحدث تقصير فى أداء عمله فإنه كان يتعرض من جانب المشرف عليه وهو صاحب الصناعة للعقاب ، ولم تشر المصادر إلا لحادثة واحدة تعرض لها القيَّاس لعقاب من جانب صاحب الصناعة وهي الحادثة الوحيدة التي أوردها المسبحي في حوادث عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م عندما ذكر معاقبة ابن أبي الرَّداد من جانب صاحب الصناعة الشريف أبي طالب العجمي ، فقد قدم حارس المقياس إلي الحاكم يشكو من أن عمال البناء الذين قاموا ببناء جدار بجزيرة الروضة حول المقياس ، لم يأخذوا أجرهم مما أدي إلي حدوث مشادة بين حارس المقياس والمسئول عن العمال وبين المتولي على الإشراف من قبل الحاكم ، وكانت النتيجة معاقبة حارس المقياس وسجنه داخل

المقياس وضربه ثلاثين عصا(٥١) ، فهذه هي الحادثة الوحيدة التي ذكرتها المصادر حول معاقبة القيَّاس، وتعطي مؤشراً مهماً علي أنهم تفانوا في أداء عملهم ولم يتعرضوا إلي عقاب من المشرفين عليهم إلا في حالات نادرة.

ومن المهام الأخري التي قام بها القيَّاس تولي الإشراف علي جامع المقياس وتعيين من ينوب عن الخطيب في القيام بالخطبة في هذا الجامع ، ففي عهد القاضي السعيد بن أبي الرِّداد كان ابن الحلال ينوب عنه في هذا الجامع، وفي عهد ابنه هذا تولي ولي نور الدين بن الفقيه تقي الدين بن الشيخ محيى الدين العسقلاني الخطبة بالجامع وكان ذلك في عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م(٥٢).

كذلك احتاج القيَّاسون إلي مجموعة من المساعدين لكي يساعدوهم في مهمتهم، وكان منهم الكاتب الذي يقوم بتسجيل ما يُمليه عليه القيَّاس من مقدار الزيادة أو النقصان بعدما يكشف عنه عند النظر في المقياس، وفي الحقيقة في بداية الأمر كان القيَّاس هو الذي يقوم بتسجيل القياسات بنفسه ، ثم وجدت وظيفة الكاتب الذي كان عليه أن يسجل هذه القياسات فى دفاتر خاصة خصصت لمنسوب المياه وتسجيله وقت التحاريق ووقت الفيضان أيضاً ، وعملية جمع هذه القياسات وتسجيلها كانت قد بدأت من عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م وهي لاتزال مستمرة حتي الآن(٥٣).

كذلك كان يساعد القيَّاس في عمله أفراد مهمتهم النداء بالبشري بزيادة النيل التي يعلنها القيَّاس لهم لكي يقوموا هم بإعلانها للناس داخل المدن والقري المختلفة، وفي القديم كانت تأتي هذه البشري من مدينة قوص حينما كان يقدم مركب صغير وبه رجل واحد يبشر بوفاء النيل قبل أن يبشر به ابن أبي الرَّداد ، وكان يخصص لهذا الرجل راتب، وعلي أرباب الدولة أن يعطوه – في كل عام علي سبيل الهبات والعطايا نظير إتيانه بخبر النيل ، وكان لهذا الرجل مكانة طيبة ، وقد تغني الشعراء بالمبشر بوفاء النيل ، من ذلك ما نظمه الشيخ بدر الدين بن الحاجب وأفرده في ديوانه فى جزء سماه مقطعات النيل ، يقول :

يـا مفـردا بوفاء النيل بشرنا — وصب فـي أذن الاعـداء صوت عدا

أسل بإصبعك العالي عيونهم — واركض برجلك هذا بارد وشراب(٥٤)

كذلك قال صلاح الصفدي عن المنادي :

وقد قلت إذ نادي منادي نيلنا بأصبع سبحان الخلاق

قيل أصابعه فليس أصبعاً لكنَّهن مفاتيح الأرزاق[٥٥]

وكان القيَّاس يرسل هؤلاء المنادين يومياً وكانت مهمتهم النداء علي زيادة النيل، وفي كل حارة كان يكلف رجلاً بهذا العمل وكانوا يطلقون عليه منادي البحر أو البشار الذي يخرج بالبشري[٥٦].

وقد خصص لهذا الرجل الذي ينادي يومياً علي مقدار زيادة النيل في كل سنة شئ علي كل بيت في الخطة التي ينادي بها ، وكان يشارك القيَّاس في الربح ، ويقال إن كلاً من هؤلاء المنادين كان ملتزماً بشئ معلوم في السنة يدفعه لابن أبي الرَّداد[٥٧].

وهؤلاء المنادون كانوا يخرجون منذ أول يوم من الفيضان ويطوفون وهم ينادون فى المدينة بأن الله تعالي قد زاد النيل كذا أصبعا ويذكرون مقدار زيادته فى كل عام[٥٨] ، وكانوا عند النداء يقولون : نعم لا تحصى من خزائن لا تفني زاد الله في النيل المبارك كذا وكذا»[٥٩].

ويترتب علي هذا الإعلان ان الناس إذا ما علموا أن ارتفاع الماء بلغ ثمانية عشر ذراعاً فإنهم يستبشرون وتعم الفرحة بينهم ، أما إذا كانت الزيادة أقل من ذلك فإنهم يدعون الله ويتصدقون وينذرون النذور حتي تتحقق الزيادة[٦٠] ، وهكذا ساعد القيَّاس في مهمته مساعدون للإعلان عن زيادة النيل ، ولكن الذى كان يقوم بالعمل الأساسي هو القيَّاس.

رابعاً – الأسرة التي تولت أمر القيَّاس:

منذ القدم كان الذي يتولي أمر المقياس أولاد الرهبان النصاري وقد كانوا يتوارثونها بعضهم من بعض[٦١] ولكن الأمر تغير فى عام ٢٤٦هـ/٨٦٠م عندما كتب القاضي بكار بن قتيبة إلي الخليفة المتوكل على الله العباسي[٦٢] ، أن هذا الأمر العظيم من نعم الله تعالي فلا ينبغي أن يتولاها إلا من يوحد الله ، فكتب إليه افعل ما شئت وولَّ من أردت ، فولي عبد الله بن عبد السلام الرَّداد[٦٣].

وقد ذكرت المصادر أنه لم يسم المؤرخون رجلاً معلوماً مخصصاً لقياس النيل قبل ذكر اسم ابن أبي الرَّداد[٦٤] ، الذي أصبح عميداً لأسرة عريقة تولت أمر القياس لفترة زمنية طويلة تقدر بعشرة قرون متتالية ، فقد عرف عنهم أنهم اشتهروا بالنزاهة والعلم والسداد ، فقد عرف عن أبي الرَّداد أنه معلم من أهل البصرة قدم إلي مصر وحدَّث بها، ثم تولي قياس النيل وبقي من بعده في أسرته[٦٥].

وهناك عدة أسماء من هذه الأسرة ذكرتها المصادر فى سنوات متفرقة ، ففي حوادث عام ٥١٧هـ/١١٢٣م ذكر اسم الفقيه صدفة ابن أبي الرَّداد ، وكان يتولي أمر المقياس ويقوم بوظيفة تطييب عموده[٦٦].

كذلك ذكر أبو شامة في حوادث عام ٥٧٤هـ/١١٧٨م أنه لما توفي متولي المقياس – ولم يذكر اسمه – فوض السلطان منصبه إلي أخيه[٦٧] ، وهناك إشارة أخري إلي رجل منهم تولي القياس وكان يسمي صدقةِ بن أبي المكارم بن صدقة المصري شرف الدين بن أبي الرَّداد وهو من رجال العلم ، فقد سمع ثلاثيات البخاري علي الشريف بن محمد بن يونس بن يحيى الهاشمي فى عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م[٦٨]. وظهر من هذه الأسرة أيضاً من تولي منصب القضاء منهم السعيد بن أبي الرَّداد وكان ذلك قبل عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م[٦٩]. وفي حوادث عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م ذكر المقريزى أنه فى يوم كسر الخليج خرج شرف الدين بن أبي الرَّداد للبشارة بالوفاء[٧٠]. وهكذا كان يتم الإفصاح عن ذكر إسم القيَّاس وأحياناً كثيرة كان يكتفي بذكر اسم الأسرة فقط للإعلان عن أن الشهرة هى التي غلبت عليهم ، وأصبح مجرد ذكر لقب أبي الرَّداد هو تعبير عن الشخص الذي يقوم بعملية القياس.

خامساً – علاقة القيَّاس بالسلطة الحاكمة :

مما لاشك فيه أن هناك علاقة ربطت بين السلطة الحاكمة منذ أن دخل العرب مصر وبين من كان يتولي أمر قياس النيل بإعتباره هو الشخص الذي يعطي لهم الإشارة والتنبؤ بأحوال البلاد ، فهو المخبر عن سر الحياة في أرض مصر عندما يبلغهم بأحوال النهر لكي يتجنبوا ما يمكن أن تتعرض له البلاد من أخطار الفيضان ، كما كانوا يتعرفون علي مقدار مساحة الأرض التي يتم زراعتها وتقدير الخراج عليها ، وذلك لأن هناك تغيرات بصفة دائمة كانت تحدث في مساحة تلك الأرض بسبب الفيضان السنوي الذي يكشف أرضاً ويجرف أرضاً أخري، وهذا يتطلب

دائماً العمل علي إعادة تقييم مساحة الأرض الزراعية لأن خراج الأرض يتوقف على تلك المساحة ، وكانت قيمة الضرائب تحدد سنوياً على حسب ارتفاع النيل الذي يعتبر ميزاناً لإيرادات مصر وأحوالها المختلفة(٧١).

ولما أتي الفاطميون إلي مصر وكانوا من قبل في بلاد صحراوية ليس بها نهر أدركوا أهمية هذا النهر ومدى أثره في تغيير مجرى الحياة علي أرض مصر كلها ، فكان من الضروري أن يعرفوا كل شئ عن هذا النهر، وأن الكشف والإعلان الذي يقوم به القيَّاس لابد أن يعرض عليهم أولاً ثم يقررون بعد ذلك عرضه علي الأهالي وبخاصة في أمر الزيادة أو النقصان حتي لاتحدث الفوضي فى البلاد ويرتبك حال الناس لسماعهم هذا الإعلان.

فقد منع المعز لدين الله الفاطمي النداء بزيادة النيل للعامة إذا لم يبلغ ستة عشر ذراعاً. ولكن حينما يبلغ ستة عشر ذراعاً يباح للمنادي النداء عليه(٧٢) وذلك لأن كتمان الزيادة عن الرعية فى الحالة الأولي يعتبر أكبر إفادة لهم وعلى أحوالهم.

ونظراً لما يمثله وما يشغله أمر النيل فى الفكر السياسي لدي الحكام ، فإنهم كانوا يضعون القيَّاس في المكانة التي تليق بمهمته التي يؤديها ، فارتبطوا به دائماً وأوكلوا إلى القضاة مهمة تعيينهم وفتحوا أبوابهم لاستقبالهم دون إذن، فكان للقيَّاس وحده الحق فى مقابلة السلاطين والحكام ليبشرهم بأحوال وفاء النيل ، فكان يكتب بذلك رقعة للخليفة والوزير وتنزل بعد ذلك إلى ديوان الرسائل ، ويستمر الحال فى كل يوم ترفع رقعة إلى ديوان الإنشاء بالزيادة ، والخليفة وحده هو الذي يطلع عليها، حتي إذا ما بلغ مقدار الوفاء طلع ابن أبي الرَّداد برقعة إلى الخليفة ليخبره بذلك.

وقد استمرت عادة بشري القيَّاس للحكام بوفاء النيل داخل البلاد ، ولكن كان من الجائز أن يذهب القيَّاس خارج البلاد ليبشر أولي الأمر بأمر النيل ، ففي حوادث عام ٨١٣هـ/١٤١٠م عندما تأخر الأمير قتباي المحمدي بدمشق لضعف به ذهب ابن أبي الرَّداد إلي دمشق ليبشره بوفاء النيل فى الخامس من مسري(٧٤) ، وتصمت المصادر عن ذكر تكرار مثل هذا العمل الذي قام به القيَّاس ومتابعة تبليغ أمر النيل إلي الحكام خارج البلاد.

وهكذا كانت هناك علاقة حميمة بين القيَّاس والحكام ولم يتدخل الحكام في عزل القيَّاس من وظيفته ، وإنما كانت هذه الوظيفة كما سبق القول محل رعاية واهتمام من السلطة ، ولهذا أوكلت مهمة الإشراف علي القيَّاس وأداء عمله سواء في القياس أو عمارة المقياس إلي سلطة القضاة الذين كانوا من الممكن أن يتولوا مهمة الإشراف بأنفسهم أو يخصصوا لها مشرفاً أو مشرفين يختار منهما من يثق فيه القاضي ليتولى مراقبة عمل القياس ، فهناك إشارة في غاية الأهمية ذكرها المسبحي فى حوادث عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م وهي أن القاضي أبا العباسي أحمد بن العوام(٧٥) عين مشرفين علي ابن أبي الرَّداد ، هما : أبو الحسن سليمان بن رستم ، والخليل بن أحمد بن خليل لكي يخبره بأمر المقياس ، وعندما تفقدا حال المقياس وجدا مجاري الماء مسدودة ووجدا ابن أبي الرَّداد يأخذ كل سنة خمسين ديناراً لكنس المجاري ، ووجدوا الماء قد انتهي إلي حد معين فلما فتحت المجاري طلع الماء إلي الحد الذى كان عليه(٧٦) ، وقد سأل ابن أبي الردَّاد قاضي القضاة فى توقيع العقوبة علي الشاهدين المذكورين المشرفين على هذا المقياس ففعل وكان ذلك فى حوادث عام ٤١٤هـ/١٠٢٣م(٧٧).

وهناك إشارة أخرى تفيد أنه من الممكن أن يعين القاضي مشرفاً واحداً يختاره للإشراف علي عمل القيَّاس، ففي حوادث عام ٥٢١هـ/١١٢٧م عندما تولي أمر القضاء أبو عبد الله محمد ابن هبة الله بن الميسر القيسراني(٧٨) ، رتب مشرفاً علي ثقة الدولة بن أبي الردَّاد في قياس الماء وعمارة المقياس(٧٩) ، ولما قتل القاضي ابن الميسر لم ينظر أحد في الإشراف على المقياس واستمر ابن أبي الردَّاد بمفرده هو الذي يتولي تلك المهمة دون إشراف من أحد ، وأطلق له فى كل سنة مائة قنطار جير لعمارة المكان(٨٠).

وكان من الممكن أن يعين الحاكم القاضي الذي يشرف على المقياس ، ففي حوادث عام ٥٥٣هـ/١١٠٨م يذكر أن الآمر بأحكام الله رتب لمهمة الإشراف على المقياس قاضي القضاة أبا عبد الله محمد صفي إلي أن قتل ابن ميسر فلم يأت بعده أحد لهذه المهمة واستمر ابن أبي الرداد بمفرده دون إشراف من القضاة(٨١).

ونظراً لأهمية المهمة التي يقوم بها القيَّاس فقد خصص له مبالغ تصرف له من خزانة الدولة فى كل شهر بالإضافة إلى المنح والعطايا السنوية التي كانت تمنح له

عندما يأتي بالبشري بوفاء النيل ، وأيضاً كان يخصص له جراية عينية من الطوب والجير تصرف له عند القيام بترميم وتجديد وإصلاح وعمارة المقياس.

فإذا تتبعنا مقدار هذا الراتب الذي خصص له كل شهر فنجد أن أول إشارة عن مقدار ما أخذه ابن أبي الردَّاد من سليمان بن وهب صاحب خراج مصر هي سبعة دنانير فى كل شهر فى عام ٢٤٧هـ/٨٦١م[٨٢] ، وهناك إشارة أخرى ولكنها في عهد الدولة الفاطمية تفيد بأن ابن أبي الردَّاد قد أخذ لكنس مجاري الماء خمسين ديناراً فى كل سنة[٨٣].

وفي مصدر آخر ذكر أنه في بداية الزيادة كانت تصرف له مائة دينار وذلك لكنس مجاري الماء حتي يدخل الماء إلي فسقية المقياس[٨٤] ، ويذكر ناصر خسرو أنهم رتبوا عاملاً وظيفته المحافظة علي المقياس وتسجيل الزيادة فيه كان يأخذ ألف دينار[٨٥] ، وكانت تصرف له عطايا وصرة يوم البشارة بوفاء النيل وأيضاً يحصل على هبات حين الاحتفال بتخليق المقياس ويوم فتح الخليج. كذلك كان يعطى له جراية سنوية لعمارة المكان مقدارها مائة قنطار جير لعمارة المقياس كما حدث ذلك في حوادث ، عامي ٥٢٢ - ٥٢٣هـ/١١٢٨م[٨٦].

وهكذا تعددت الهبات والعطايا التي تصرف للقيَّاس نظير أدائه لعمله وتكاد تصمت المصادر عن ذكر ماذا كان يفعل بالقيَّاس إذا لم يأت بالبشري فبدون شك أنه كان يحرم من كل هذه المميزات والهبات التي كانت تعطي له، ولكن مع ملاحظة أن راتبه كان لا ينقطع لأن وظيفته مستمرة، فهو من أرباب الوظائف سواء أتي ببشري الزيادة أم لم يأت بها فلا ينقطع راتبه فهو المخبر عن حال هذا النهر على كل الأحوال.

سادساً – المواكب الاحتفالية التي يشارك فيها القيَّاس :

إذا وفي النيل المقدار الذي يعتبر قانوناً لري الأراضي المصرية وإذا بلغ ارتفاع الماء ستة عشر ذراعاً فقد تم الخراج ، وإذا زاد ذراعاً واحدة بعد ذلك زاد الخراج مائة ألف دينار ، وإذا زاد ذراعاً أخري نقص منه ألف دينار[٨٧].

وقال الصفدي متعجباً من مبالغة الناس فى وصف زيادة النيل :

قالوا علا نيل مصر في زيادته حتي لقد بلغ الأهرام حين ظمأ

وقلت هـذا عجيب فـي بلادكم من أبن ستة عشر يبلغ الهرما[٨٨]

وهكذا إذا وفي النيل هذا المقدار كان القيَّاس يبشر بذلك ويشارك في أهم احتفال سنوي يجمع كبار رجال الدولة والأهالي، وهذا الاحتفال يعتبر عرفاً وتقديراً لما يأتي به النهر من خير لمصر ولأرضها ، وقد تعود عليه الأهالي، ومن ثم كان لهذا الاحتفال مراسم وطقوس يمارسها القياس ، وفي نفس الوقت تمنح له الهبات والعطاءات المقررة له فى مثل هذا الوقت من السنة.

وهذه الاحتفالات كانت قديمة ولها فى الذاكرة المصرية تراث قديم ومراسم وطقوس احتفالية معروفة، ويقول بعض المؤرخين إنها تبدأ بيوم وفاء النيل ، وهو اليوم الذي وعد فيه فرعون موسي بالاجتماع وقال لهم «مَوعِدُكم يَوم الزِّينة وَأَن يُحّشرَ اَلنَّاسُ ضُحًى»[٨٩].

وهذه الاحتفالية قد بلغت قمتها وعظمتها ووضعت لها قواعد ومراسيم منذ أيام الدولة الفاطمية ، واعتبروها ضمن الاحتفالات والمواكب العظام[٩٠]. وكانت تتم علي مرحلتين : المرحلة الأولي تبدأ بتخليق المقياس، والأخري تتم في اليوم الثالث أو الرابع وهي كسر الخليج ، ولكن هذا الأمر تطور في عصر المماليك فكان الاحتفال بتخليق المقياس وكسر الخليج يتم في يوم واحد ، وله مظاهر احتفالية حافظوا عليها.

وسنحاول التركيز علي مراسيم تلك الاحتفالات وعلي ما يفعله القيَّاس فيها، ونرصد العطايا والهبات التي كانت تصرف له من قبل أولي الأمر منذ العهد الفاطمي وحتي نهاية عصر المماليك.

أ – تخليق المقياس:

تبدأ مراسيمه عندما يأذن الله تعالي بزيادة النيل ، فيطلع ابن أبي الردَّاد إلي المقياس في يوم ٢٥ من بؤونة . ويسجل الزيادة كل يوم بما يوافقه من أيام الشهر العربي والقبطي ، حتي الليلة التي يصل فيها ذراع الوفاء إلي السادسة عشرة إلا

أصبعا أو أصبعين ، عندئذ كان السلطان يأمر بحمل جراية تصرف في تلك الليلة إلي المقياس من المطابخ وهي عشرة قناطير من الخبز ، وعشرة من الخراف المشوية ، وعشرة من الجامات الحلوي، وعشر شمعات. وكان يأمر القيَّاس بالمبيت فى تلك الليلة في المقياس ، ويحضر إليه قراء الحضرة والمنشدون لقراءة القرآن وختمه ، حتي يوفي النيل في تلك الليلة ست عشرة ذراعاً وهو حد الوفاء[٩١].

فإذا أصبح الصبح وأذن الله بوفاء النيل ترسل رقعة أو رسالة من أبي الردَّاد إلي الخليفة ، ثم يركب الخليفة إلي المقياس ليعطره وفقاً لمراسيم معروفة ، وعند دخوله الفسقية كان يصلي هو والوزير كل منهما على حدة ، ثم يضع الخليفة بيده الزعفران أو المسك فى إناء خاص بذلك ، ثم يناوله موظفاً كبيراً يناوله بدوره إلى ابن أبي الردَّاد الذي كان يلقي بنفسه في فسقية المقياس ويتعلق بالعمود برجليه وبيده اليسري ويخلقه ، أي يطلي عمود المقياس بالخلوق وهو نوع من الطيب ، ويقوم بتخليقه بيده اليمني ، وفي تلك الأثناء يكون قراء الحضرة مستمرين في قراءة القرآن الكريم[٩٢].

وفي هذا يقول الشاعر لسان شهاب الدين أبو نصر محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بالبرهان النجم :

أ مقياس مصر أنت في مصر كعبة تحج لك الأملاك والخلفاء
والخلق إن خلقت يوم مسرة يكون به للعالمين ضياء
وما النيل إلا من مواهب ربنا يصرفه في الأرض كيف يشاء
دع الكبر واعلم ان راحة أحمد بنيل الوري مالاً وبذلك ماء
وأنك تبدي الستر في العام مرة وكم عمَّناَ ستُرله ووفاء[٩٣]

وعندما كان يفرغ ابن أبي الردَّاد من عمل التخليق كان يسدل الستار على الشباك الذي في صدر مبني المقياس، وهذه هى العلامة التي كان يشاهدها الناس فيستبشرون بالوفاء ويجتمعون للفرجة.

وقد قيل في ذلك شعر ، منه قول أحد الشعراء :

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم ما أحسن الستر قالوا العفو مأمول

ستر الإله علينا لايزال فما أحلي تهتكنا والستر مسبول[٩٤].

وفي ثاني يوم تخليق المقياس يذهب ابن أبي الردَّاد إلي القصر بالإيوان الكبير الذي يوجد فيه شباك باب الخليفة فيجد خلعةً هناك ويُؤمر بلبسها ويخرج من باب العيد ، ويدفع إليه خمسة أكياس ، في كل كيس خمسمائة درهم ، وتهيأ له خمسة بغال علي ظهورها الأحمال ومزينة بالحلي ، وعلى ظهر كل منها راكب بيده أحد الأكياس الخمسة، وحوله أولاد عمه وأصدقاؤه وأمامه الأبواق السلطانية تضرب أمامه والطبل وراءه مثل الأمراء، فيشق بين القصرين، وكلما مر علي باب من أبواب القصر يدخل منه الخليفة أويخرج ينزل ويقبله ، ويخرج من باب زويلة في الشارع الأعظم حتي يأتي مصر(أي القاهرة) فيشق وسطها ويمر بالجامع العتيق ذاهباً إلي المقياس بخلعته وتكون معه الأكياس التي يأخذ منها القدر المخصص له ويقوم بتفريق الباقي علي أرباب الرسوم الجارية من قديم الزمان من بني عمه وغيرهم[٩٥] ، تعظيماً للتبشير بوفاء النيل وزيادته. أما الاحتفال الثاني الذي كان يشارك فيه القيَّاس فهو كسر الخليج.

ب – كسر الخليج :

يعد الاحتفال بكسر الخليج من أهم الاحتفالات التي شارك فيها القيَّاس بفاعلية: وهذا الاحتفال كان له مقام محمود وعرس يحضر فيه الجميع من الناس ، وكانوا يصطفون على الشواطئ ما بين مزغرد ومصفق ابتهاجاً بهذا الحدث الكبير في حياتهم ، فقد قيل عن هذا اليوم إذ كسر الخليج كان لكسره يوم معدود ومقام مشهود ومجمع خاص يحضره العام والخاص[٩٦].

وفي هذا اليوم كان يؤمر بعمل موائد كبيرة على شكل تماثيل مختلفة الأشكال من الغزلان والسباع والفيلة وغيرها وتضرب خيمة القاتول[٩٧] ، وكان يخرج من خزائن الدولة لهذه الاحتفالية هبات كثيرة لرؤساء العشاريات من الشقق الدمياطي والمناديل السوس والفوط الحرير الحمر (برسم النواتية التي يرسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندراني والكلوتات)[٩٨]. ويركب السلطان مع الأمراء وكبار رجال دولته، وتعد له الحراقة الذهبية باسمه وتزين ، وتأتي المراكب المزينة يركبها الأمراء وتسير في النيل إلي أن تنتهي بالروضة ، وفي ذلك الوقت يكون البحر قد ملئ بمراكب المتفرجين يسيرون خلف الحرائق حتي يدخلوا إلي فم

الخليج، ويرمي بمدافع النفط ، ويسير السلطان في حراقته الصغيرة حتي يأتي السد فيقطع بحضوره ويركب وينصرف إلي القلعة[٩٩].

وكان الناس علي كافة شرائحهم الاجتماعية يشتركون في هذا الاحتفال ، وكان فتح السد بالنسبة لهم حدثاً رائعاً يحرصون علي مشاهدته وعلي المراسم التي تتم فيه ، فهناك دار عند فم السد تعرف بدار ابن مقشر ، كان يؤجرها يوم فتح السد ، فيحصل من ذلك التأجير على أموال كثيرة ، ففي حوادث عام ٥٩١هـ/١١٩٤م ولما أوفي النيل تم تأجيرها ومن شدة زحام الناس الذين أتوا إليها تهدمت ومات خمسمائة إنسان[١٠٠] مما يصور مدى شدةَّ زحام الناس للفرجة على مثل تلك الاحتفالات والتي اعتبروها من الاحتفالات الهامة، وكان يشارك في هذه الاحتفالات السلاطين والحكام ، وأحياناً كانوا ينيبون أحد كبار أمرائهم أو نوابهم أو أتابك الجند والقائد العام أو الاستاذ والدوادار أو يوكلون الأمر إلي بعض أولادهم لمشاركة القيَّاس في مثل تلك الاحتفالات.

فكان أول من ركب لتخليق عمود المقياس وكسر سد الخليج مع ابن أبي الرداد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي . فخرج بموكب عظيم وكان معه أعيان الدولة وكبار رجالاتها ثم عاد بعد ذلك إلي قصره بعد إتمامه مراسم هذه الاحتفالات[١٠١].

وقد سار علي ضرب المعز العزيز بالله ثم الحاكم ثم الظاهر ، فكانوا يركبون لفتح الخليج ويفرقون الهدايا علي أرباب الدولة من كسوة ومأكل وغير ذلك ابتهاجاً وفرحاً بهذا الوفاء الذي يأتي بالخير الكثير علي البلاد والعباد[١٠٢].

كذلك حرص سلاطين المماليك أيضاً علي الركوب لخلق المقياس وفتح الخليج فى سنوات متعددة منذ أن قام الظاهر بيبرس البندقداري في حوادث عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م لفتح السد ثم اتبعه الظاهر برقوق عام ٨٠٠هـ/١٣٩٧م ثم ابنه الناصر فرج ثم المؤيد شيخ عام ٨١٦هـ/١٤١٣م ثم الأشرف برسباي ثم الظاهر خُشَقدم عام ٨٧٠هـ/١٤٦٥م[١٠٣].

وتذكر المصادر خروج هؤلاء السلاطين سنوات عديدة كانوا فيها يركبون لخلق المقياس وفتح الخليج[١٠٤] ، وكان في بعض الأحيان يشارك أبناء السلاطين كنواب للاحتفال بتخليق المقياس وكسر الخليج مع القيَّاس مثل ما حدث عام

٨٤٩هـ/١٤٤٥م[١٠٥]. كذلك كانوا يرسلون من ينوب عنهم من الأمراء لفتح السد وكسر الخليج والمصادر مليئة بذكر ذلك خلال سنوات كثيرة[١٠٦].

وفي بعض الأحيان كان يعلن أمين النيل خبر زيادة النيل ، وأحياناً تكون هذه الزيادة من العجائب كما حدث في عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م ، وعام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م حيث بلغت الزيادة في تلك السنة حوالي عشرين أصبعا ولم يعهد قط بأن نودي يوم الوفاء بزيادة عشرين أصبعاً[١٠٧].

أما عن الهبات والمنح التي خصصت للقيَّاس سواء التي كانت تمنح له يوم التخليق أو يوم كسر الخليج فإنه كان للقيَّاس نصيب في كسوة الموسم من الطراز ضمن الخصوص والتي كانت مخصصة للخليفة بصفة خاصة وأخواته وأربعة من خواص جهاته والوزير وأولاده ومنهم بالطبع ابن أبي الرَّداد[١٠٨] ، وهذا يدل علي مكانة هذه الوظيفة لدى طبقة الحكام.

وتذكر المصادر أنه منذ العهد الفاطمي وبالتحديد في سنوات ٣٦٢-٣٦٤هـ/٩٧٢-٩٧٤م، ٣٩٦-٣٩٩هـ/١٠٠٥-١٠٠٨م، لما بلغت زيادة النيل في تلك السنوات المستوي المطلوب أطلق المعز لمتولي القياس جائزة وخلعاً وزاد القيَّاس في رسمه[١٠٩]، وهذه أصبحت عادة سارية.

فقد كان يحصل القيَّاس علي بدلة مذهبة وثوب ديبقي حرير ، وطيلسان مقور بياض مذهب ، وشقة سقلاطون ، وشقة عتابي ، وشقة خز ، وشقة ديبقي ، وأربعة أكياس دراهم ، وتنشر أمامه الأعلام الخاصة والديبقي بالالوان المختلفة ابتهاجاَ بهذه البشري التي يأتي بها[١١٠] ، وهذه الخلع التي وهبت لابن أبي الرَّداد كانت مستمرة ولم تنقطع طوال السنوات طالما أتى بالبشرى وفي حوادث عام ٥١٦هـ/١١٢٢م ذكر ابن المأمون ما يخص المستخدمين ، ومنهم ابن أبي الرَّداد في تخوت كل تخت به عدة بدلات[١١١].

هكذا منح ابن أبي الرَّداد منحاً وهبات عينية واشترك مع أولي الأمر في أهم احتفال لوفاء النيل يوم تخليق المقياس وكسر الخليج وكان عضواً بارزاً في هذا الاحتفال.

خـاتمـة

بعد دراسة موضوع قياس النيل في العصر الإسلامي تم التوصل إلي العديد من النتائج وهي على النحو التالي:

أكدت الدراسة علي الأهمية التي احتلها نهر النيل في حياة المصريين ، وأن لهذا النهر أثره في إنماء الحياة بما يجلبه من خير ، وأن قياس حالة الرخاء كانت مرتبطة بحالة هذا النهر وما يأتي به من خير علي أرض مصر,

وبينت الدراسة أن حالة النهر ومعرفة قياسه شغلت الفكر السياسي لدي الحكام منذ القدم ووضعت له الخطوط الأساسية منذ قدوم العرب إلي مصر ، فاهتموا ببناء المقاييس للتعرف علي مقدار زيادة النيل ونقصانه ، وكذلك ليتحدد من خلالها مقدار خراج الأرض ، وفرضوا علي القياس عدم الإعلان الحقيقي للقياس.

وأثبتت الدراسة أيضا أن وظيفة القيَّاس احتلت مكانة وظيفية ودينية رفيعة وكان له قداسته وكان يشرف علي تعيينه القضاة. وأن القيَّاس كان أهم عمل يقوم به هو القياس ، وكان له طقوس ونسك يمارسها ويلتزم بأدائها فى أوقات معينة من الشهور القبطية ، ويعتبر شهر مسري هو مظنة وفاء النيل.

وبينت الدراسة أن القيَّاسين كانوا ملتزمين بممارسة عادات خلال الشهور العربية وما يوافقها من الشهور القبطية ، وما كانت عليه زيادة النيل في العام السابق.

فقد بينت الدراسة أن القيَّاس التزم بتنظيف بئر المقياس ، ورفع ما يتراكم بقاعه من طمي حتي يتمكن من القيام بمهام عمله علي أكمل وجه ، وكان يراعي الدقة في معرفة مقدار المياه الحقيقية في المقياس.

وأكدت الدراسة علي أن أولاد النصاري كانوا هم الذين يتولون أمر المقياس في السابق ولكن بعد عام ٢٤٦هـ/٨٦٠م تولي أمر المقياس عبد الله بن عبد السلام الردَّاد الذي أصبح عميداً لأسرة عريقة اشتهرت بالورع والعلم وتوارث أفرادها وظيفة القياس الابن عن الأب ، والأخ عن أخيه ، وهذه الأسرة استمرت فى وظيفتها فترة طويلة مما يدل علي القيام بعملها علي أتم وجه ، ولم تعزل من هذا المنصب الحساس طوال تلك الفترة التي بلغت عشرة قرون من الزمان، وأنه كان يساعدهم

في أعمالهم مساعدون منهم الكاتب والمنادي والبشار ، وكان يخصص لهؤلاء رواتب تعطي لهم علي سبيل الهبات والعطايا لإتيانهم ببشرى النيل.

وأكدت الدراسة علي العلاقة الودية التي ربطت القيَّاس والقياسين بأولي الأمر فقد فتحوا أبوابهم لاستقبالهم ، وكانوا يعينون مشرفين على تتبع حالة المقياس ، والإشراف علي القيَّاس ، وأيضاً خصصوا لهم رواتب تمنح لهم كل شهر ، وأيضاً جراية عينية من الطوب والجير تصرف لهم عند القيام بترميم وإصلاح وعمارة المقياس.

كما أثبتت هذه الدراسة قيام القيَّاسين بالمشاركة في رسوم الاحتفالات الخاصة بوفاء النيل يوم تخليق المقياس ويوم كسر الخليج ، فقد كانت تصرف لهم هبات وعطايا ومنح ، ويقدر لهم نصيب في كسوة الموسم ضمن الرجال الذين كانت لهم مكانة خاصة كل ذلك في حالة الإتيان بالبشرى بالوفاء.

وهكذا كان لقيَّاس النيل كل الأهمية والاحترام فهو الذي كان يبشر الناس بوفاء النيل كل عام.

الهوامش

١- ابن زولاق : فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، تحقيق الدكتور على عمر ، بدون تاريخ ، ص٧٤.السيوطي: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، طبع بمطبعة إدارة الوطني ، بمصر ١٢٩٩هـ، الجزء الثاني ، ص٢٣٨، ٢٣٩.

٢- السيوطي : كوكب الروضة ، تحقيق محمد الششتاوي ، ص١٣٤. في عهد الفراعنة كان هناك مقياس عبارة عن بركة من نحاس عليها عقابان ذكر وأنثي وفيها قليل من الماء ، فإذا كان أول شهر يزيد فيه الماء اجتمع الكهنة وتكلموا الكلام ثم يضعونه علي أحد العقابين فإذا كان الذكر كان الماء عاليا وإن كان أنثي كان الماء ناقصا عبد السلام : الفيض المديد في أخبار النيل السعيد، دار الكتب المصرية ، رقم ٤٢٩ جغرافيا ، ص٣١.

٣- القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشاء ، شرحه محمد حسن شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولي ١٩٨٧م ، الجزء الثالث ، ص٣٠٩ ، سعيد عبدالفتاح عاشور: الفلاح والاقطاع في عصر الأيوبيين والمماليك ، ندوة الأرض والفلاح في مصر علي مر العصور ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص٢١١.

٤- سورة الزخرف آية ٥١.

٥- ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفي السقا ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص ١١٢، السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر، حـ٢ ، ص٢٤٢، أمين سامي : تقويم النيل ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ١٩١٦م ، الجزء الأول ، ص٦٧.

٦- سورة الدخان آية ٢٥ ،٢٦، ٢٧. وللمزيد من التفاصيل انظر أحمد عبد الحميد يوسف : مصر في القرآن والسنة ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٩٩م.

٧- الكندي : فضائل مصر الطبعة الأولى ١٩٨٧، ص ٦٠-٦٢.

٨- السيوطي : كوكب الروضة ، ص٢٩٤-٣١٦.

٩- سيدة الكاشف : الارض والفلاح في مصرالإسلامية ، ندوة الأرض والفلاح في مصر على مر العصور، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص١٥٨.

١٠- المقياس في اللغة هو من قاس يقيس قيساً ، واقتاسه أي قدره ، والمقدار مقياس ، والقياس هو تقدير الشئ في طوله وعرضه وغيره من الجهات ، وقالوا في تفسير القياس هو القدر وتفسير القدر هو القياس.

١١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، طبعة ١٩٦١م ، ص٢٣، ابن تغر بردى: النجوم الزاهرة، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ص٣٧٢، ابن عبد السلام: الفيض المديد في أخبار النيل السعيد ص٢٨، ميخائيل: المقياس في أحوال القياس ، تاريخ تيمور ٣٧٤ ، رقم الميكروفيلم ٥٤٩١٨ دار الكتب، ص١١، ١٣، ١٤.

١٢- ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص٣٧٣، ٣٧٥، ابن عبد السلام : مصدر سابق، ص٢٨، ميخائيل : مصدر سابق ، ص١٧-٢١، ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الزهور، الجزء الأول : القسم الأول ، ص١٥٣ ، ١٥٤ كان رقم ستة عشر الموجود إلي الآن علي المقياس هو الرقم المتعارف عليه من قديم الزمان على أنه النهاية العظمي لفيضان النيل ، وقد أشار إلى ذلك تمثال النيل الشهير الذي عمل في عهد البطالمة ونقل بعدها إلي روما ، فإن

حول التمثال ستة عشر طفلاً طول كل واحد منهم ذراع واحدة ، وفي هذا إشارة إلي الستة عشر ذراعاً اللازمة لرى الأطيان ، كذلك وجد علي أحد النياشين في عهد تراجان تمثال النيل وعليه ملك صغير يشير بأصبعه إلي الرقم السادس عشر ، فهم لم ينقصوا عدد الأذرع بل أنقصوا طولها ، وهذا النقص مطابق لما حصل من تغير في كمية الفيضان اللازمة لري الأرض ، وهذا ذراع واحدة نقريباً ، وقد قسمت هذه الذراع بالتساوي علي أذرع المقياس، فأصبحت الذراع القديمة أطول من الجديدة ، بمقدار جزء من ستة عشر ، وكانت هناك الأذرع البلدية المجهولة الأصل إلا أنها كانت أطول من الذراع السوداء بمقدار ١/١٦ انظر :

أمين سامي : تقويم النيل ، الجزء الأول المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩١٦، ص٨٢.

وقد سميت جزيرة الروضة بدار المقياس ، والروضة جزيرة إذا زاد النيل أحاط بها واستقلت بنفسها، وسميت جزيرة مصر بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها وكانت ذات بساتين وثمار – انظر : الروضة والمقياس، تحت رقم ١٤٧، الرقم الخاص ٢٤٨، ص٧.

١٣- السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٤٦.

١٤- المقريزى : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، حققه الدكتور أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ٢٠٠٢م ، المجلد الأول ، ص١٥٧، السيوطي : كوكب الروضة ، ص٢٥، عبد المنعم ماجد : النيل في رسوم الدولة الفاطمية في مصر ، بحث ضمن الندوة الدولية لحوض النيل، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، القاهرة ١٩٨٧م،

وهناك ذراع سوداء أول من وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم أسود وهي أطول من ذراع الدور بأصبع وثلثي أصبع وتعامل الناس بها في القياس والتجارة انظر : المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ، ص١٥٦ ، ١٥٧.

١٥- عبد السلام : الفيض المديد ، ص٢٩.

١٦- ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت – د.ت ، ص١٤.

١٧- سيدة الكاشف : مرجع سابق ، ص١٧٦.

١٨- القلقشندي ، مصدر سابق، جـ٣، ص٣٢٩، ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص١٥٦.

١٩- ابن ظهيرة ، مصدر سابق ، ص١٦٠ ، ١٦١، السيوطي ، كوكب الروضة ، ص١٢١، ابن إياس ، مصدر سابق ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص١٥٦.

ولمزيد من التفاصيل لمعرفة ما كان مفروضاً علي مصر من خراج وإلي تقدير المساحة المفروض عليها الخراج وذلك لأن الفيضان كان يغير أوضاع الأراضي مما يستدعي إعادة مسح الأرض : انظر عمر طوسون : كتاب مالية مصر في عهد الفراعنة إلي الآن ، مطبعة الاسكندرية ، ١٩٣١م ، ص١١٩، ١٢٢.

٢٠- ابن دقماق : مصدر سابق ، جـ٤ ، ص١٤.

٢١- ميخائيل : مصدر سابق ، ص٣٣ ، ٣٤.

٢٢- نفس المصدر السابق ، ص٢١ ، ٢٢.

٢٣- نفس المصدر السابق ، ص٢٣، ابن عبد السلام ، مصدر سابق ، ص٣٠.

٢٤- ميخائيل : مصدر سابق ، ص٢٣.

٢٥- المقريزي : المواعظ والاعتبار ، المجلد ٢ ، ص٥٥١ ، ٥٥٢.

٢٦- نفس المصدر السابق والجزء ، ص٢٥٢، السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٦٢،١٦١.

٢٧- ابن إياس ، مصدر سابق ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص١٥٦، ١٥٧.

٢٨- المقريزى ، المواعظ والاعتبار ، المجلد الأول ، ص١٥٩، ابن إياس ، مصدر سابق ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص١٥٤، ١٥٥.

٢٩- ابن إياس ، المصدر السابق، نفس الجزء والقسم ، ص١٥٤، ١٥٥.

٣٠- المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، المجلد الرابع ، القسم الثاني ، ص٦١٦، السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٤٩.

٣١- السيوطي : المصدر السابق ، ص٣٠٦.

٣٢- المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، المجلد الرابع ، القسم الثاني ، ص٦١٦، ابن إياس : بدائع الزهور ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص١٥٥.

٣٣- المقريزي : السلوك ، المجلد الرابع ، القسم الثاني ، ص٦١٧.

٣٤- القلقشندي : مصدر سابق ، الجزء الثالث ، ص٣٢١ ، ٣٢٢.

٣٥- ابن حجر : إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٨م ـ الجزء الرابع ، ص١٥٨ ، ١٨٠ ، ١٨١.

٣٦- القلقشندي : مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص٣٢٤ ، ٣٢٤.

٣٧- ابن حجر : مصدر سابق ، جـ٤ ، ص١٣٦-١٣٨.

٣٨- ابن إياس : مصدر سابق ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص١٥٥.

٣٩- المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تحقيق د.جمال الدين الشيال ، الجزء الثاني، تحقيق د/ محمد حلمي محمد أحمد ، القاهرة ١٩٩٦م ، ص١١٢.

٤٠- ابن حجر: مصدر سابق، الجزء الثالث، ص٨١، ١٦٧، ٢١٧، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣.

كذلك حدث ذلك في سنوات سابقة في عام ٧٥٥م/١٣٥٤م ، ٧٦٠هـ/١٣٥٨م وعام ٧٦١هـ/١٣٥٩م، وعام ٧٧٣هـ/١٣٧١م ذكر عن زيادة النيل وانقطاع الطرق وتأخر الزراعة انظر: المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الثالث ، القسم الأول، ص١٢، ٤٧، ٥٣، ١٩٥، ابن حجر ، مصدر سابق ، حـ١ ، ص١٠.

٤١-البغدادي : الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، الطبعة الثانية ١٩٩٨م ، ص٩، ١٤١، ١٤٢، ٣٠، ابن إياس : بدائع الزهور، الجزء الأول، القسم الأول ، ص٢٥٤.

٤٢-ابن إياس : المصدر السابق ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص٢١٦، ٢١٧، ٢١٨.

٤٣-نفس المصدر السابق والجزء ، ص٢٢٢، ٢٢٣.

كذلك تكرر هذا الحدث في عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م في عهد السلطان بيبرس عندما توقف النيل عن الوفاء فشحت الغلال وارتفع سعر الخبز في الأسواق انظر نفس المصدر والجزء والقسم ، ص٤٢٤.

٤٤-نفس المصدر السابق والجزء والقسم ، ص١٧٧.

٤٥-المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الثالث ، القسم الأول ، ص٢١٨، ا بن حجر : مصدر سابق ، الجزء الأول ، ص٥٩، ٧٦.

٤٦-المصدر السابق، جـ٧ ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ ، ص٢١٣.

٤٧-ميخائيل : مصدر سابق ، ص٣٢.

٤٨-المسبحي : أخبار مصر في سنتين ٤١٤ - ٤١٥هـ ، تحقيق وليم ج ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م ، ص٥٥، المقريزي : اتعاظ الحنفاء ، الجزء الثاني ، ص١٤٢.

٤٩-السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٥٠.

٥٠-مجهول : الروضة والمقياس ، مخطوطة تحت رقم ١٤٧ عام ، الرقم الخاص ٢٤٨ ، ص٧٥.

٥١-أخبار مصر في سنتين ، ص٥٩، د.أيمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ٢٠٠٠م، ص٤٥٢.

٥٢-السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٠١.

ويعتبر جامع المقياس جزءاً من مجموعة العمائر التي أقامها أمير الجيوش بدر الجمالي في عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م وكان يوجد بالجامع ثلاث لوحات تذكارية تحمل نصاً واحداً توضح أن أمير الجيوش بدر الجمالي هو الذي أمر ببناء هذا الجامع، انظر أيمن فؤاد : مرجع سابق، ص٤٥٤،٤٥٣.

٥٣- رشدي سعيد : مرجع سابق ، ص١٧٣ ، ١٧٨.

٥٤- السيوطي : كوكب الروضة ، ص٣٠٤.

٥٥- نفس المصدر السابق ، ص٣٠٦.

٥٦- ابن إياس : بدائع الزهور ، القسم الأول ، ص١٥٦.

٥٧- ميخائيل : مصدر سابق ، ص٣٤ ، ٣٥.

٥٨- ناصر خسرو : سفر نامة ، ترجمة د.يحيي الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٤٥م ، الطبعة الأولي ، ص٤٢.

٥٩- السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٥٢، ابن إياس ، مصدر سابق ، القسم الأول ، الجزء الأول ، ص٥٦.

وهناك نماذج من كتاب البشارة بالوفاء - انظر

ابن الطوير : نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، تحقق الدكتور/ أيمن فؤاد سيد ، دار صادر ١٩٩٢، بيروت ، الطبعة الأولي ، ص٤٧٩.

٦٠- ناصر خسرو : مصدر سابق ، ص٤٣.

أما في الفترة المتأخرة فقد كان شيخ السقايين والمنادين الذين تحت إمرته لا ينادون بالمقاييس الحقيقية، فكانوا ينادون بمقاييس غير منطبقة على المقاييس الواردة في العمود بين الاخرين وذلك حتي يتمكنوا من جمع مال ، و لكي يتجنبوا وقوع الذعر في قلوب الأهالي في حالة كفاية النيل أو نقصانه . انظر

أمين سامي : تقويم النيل ، المجلد الأول ، ص٧٢.

٦١-كان الرهبان النصاري الذين يتعاقبون علي المقياس يقيمون في كنيسة بالروضة بجانب المقياس .. انظر ابن عبد السلام : الفيض المديد ، ص٣٠.

٦٢-ترجمة الخليفة المتوكل علي الله بن محمد انظر

الزِركلي: الأعلام ، قاموس تراجم ، دار العلم ، بيروت ، ١٩٩٩م المجلد ٢ ، ص١٢٧.

٦٣-اسمه عبد الله بن عبدالسلام بن الرَّداد المؤدب ، ويقال أصله من البصرة ، فقد قدم إلي مصر وحدث بها وجعل علي قياس النيل، فلم يزل المقياس من ذلك الوقت في يد أبي الردَّاد وأولاده وأحفاده. أمين سامي : تقويم النيل ، ص٧٠.

٦٤-ميخائيل : مصدر سابق ، ص٢٩ ، ٣٠.

٦٥-أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، ص١٢، ١٣، ميخائيل : مصدر سابق ، ص٣١.

٦٦-المقريزي : المواعظ والاعتبار ، المجلد الثاني ، ص٥٤١.

٦٧-السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٥٦، أبو شامة : مصدر سابق ، ص١٢.

٦٨-السيوطي كوكب الروضة ، ص١٠١.

وقد ذكر ابن العماد في حوادث عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م عن هذه الأسرة أنه عندما تتبع لمن روي عنه بمصر كان منهم الحسن بن يحيي بن أبي الردَّاد الذي روي بمصر عن ابن رفاعة، ومن المرجح أنه من نفس الأسرة التي تولت المقياس ، وليس هناك دليل علي أنه تولي أمر المقياس – انظر

ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمد الأرناؤوطي ، دار ابن كثير، بيروت الطبعة الأولي عام ١٤١٢-١٩٩١م ، المجلد السابع ، ص١٥٥.

٦٩-السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٠١.

٧٠-السلوك ، المجلد الثالث ، الجزء الثاني ، ص٧٤٨.

٧١-سيدة الكاشف : مرجع سابق ، ص١٧٩، عمر طوسون : كتاب مالية مصر في عهد الفراعنة إلي الآن مطبعة الاسكندرية ، الاسكندرية ١٩٣١م، ص٦ ، ٣١.

ولمزيد من التفاصيل لمعرفة ما كان مفروضاً علي مصر من الخراج وعلي المساحة التي كان المفروض عليها الخراج . انظر عمر طوسون : مرجع سابق ، ص ١١٩.

٧٢-المقريزي : المواعظ ، المجلد الأول ، ص١٦١ ، ١٦٢، ابن ميسر : المنتقي في أخبار مصر، حققه الدكتور أيمن فؤاد السيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٨١م ، ص١٦٠.

٧٣-القلقشندي : مصدر سابق ، الجزء الثالث ، ص ٥٩٠.

٧٤-المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الرابع ، القسم الأول ، ص١٣٩.

٧٥-تولي أمر القضاء في عهد الحاكم عام ٤٠٥هـ/١٠١٤م وأوكل إليه الحاكم احكام مصر وبرقة وصقلية والشام والحرمين والنظر في دار الضرب والمواريث ونقل دواوين الحكم إلي الجامع العتيق . انظر المسبحي ، مصدر سابق ، ص٢٣٩.

٧٦-المصدر السابق ، ٢٣٩.

٧٧-المصدر السابق ، ص٦١.

٧٨-تولي أمر القضاء في عام ٥٢١هـ/١١٢٧م ولقب بثقة الدولة وعمدة أمير المؤمنين عرف عنه أنه كان يجلس للأحكام ، واعتمد التثبت في الأحكام فبلغت عدة الشهور في أيامه ما يزيد علي مائة وعشرين ، وكانت ترد إليه المظالم حتي قتل . انظر

ابن ميسر ، مصدر سابق ، ص١٠٧.

٧٩-المصدر السابق ، نفس الصفحة، السيوطي : كوكب الروضة ، ص ١٥٠.

٨٠-المقريزي : اتعاظ الحنفاء ، الجزء الثالث ، ص١٢١، السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٥٠.

٨١-السيوطي : الروضة والمقياس ، ص٧٥.

٨٢-السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٤٦، ميخائيل : مصدر سابق ، ص٣١، سيدة كاشف : مرجع سابق ، ص١٧٧.

٨٣-الروضة والمقياس ، ص٧٥، المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، المجلد الأول ، ص٣٣٥، المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، الجزء الثاني ، ص١٤٥، السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٥٠.

٨٤-المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، الجزء الأول ، ص١٦٣، ابن إياس : بدائع الزهور ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص١٥٧.

واستمر هذا المبلغ المذكور في المتن في زيادة ، انظر التفاصيل في المراسم الخديوية، وهناك قائمة تصرف لشيخ المقياس. انظرعلي باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة ، الطبعة الثانية ، دار الكتب والوثائق عام ٢٠٠٧م ، الجزء ١٨ ، ص٩٥.

٨٥- سفر نامه ، ص٤٢.

٨٦- السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٥٠، الروضة والمقياس ، ص٧٥.

وكان يصرف الشيخ القيَّاس مبالغ سنوية وشهرية ومبالغ تصرف إليه يوم أن يأتي وتكون عبارة عن صرة مرتبة كل عام تصرف له يوم البشارة وأيضاً يصرف له مبلغ يوم كسر الخليج في كل سنة . انظر على مبارك ، مرجع سابق ، جـ١٨ ، ص٩٥.

٨٧-ابن ظهيرة : مصدر سابق ، ص١٦٠ ، ١٦١.

٨٨-ابن تغرى بردي : حوادث الدهور ، الجزء الأول ، تحقيق محمد شلتوت ، القاهرة ١٩٩٩م، ص٣٣.

ويقال إنه نتيجة علو الأرض صارت أراضي مصر لا تروي إلا من عشرين ذراعاً أو إحدي وعشرين ذراعاً ، وفي بعض السنوات بلغت الغاية القصوي من الزيادة ثماني عشرة ذراعاً وفي الصعيد الأعلي اثنين وعشرين ذراعاً لارتفاع البقاع التي يمر عليها ويسوق الري إليها ، انظر

ابن إياس : مصدر سابق ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص١٥٦، السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٢١.

٨٩-القرآن الكريم سورة طه آيه ٥٩.

٩٠-عبد المنعم ماجد : النيل في رسوم الدولة الفاطمية في مصر ، بحث ضمن بحوث الندوة الدولية لحوض النيل، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ١٩٨٧م ، ص١٣٦.

٩١-القلقشندي : مصدر سابق ، الجزء الثالث ، ص٥٩٠، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، الجزء الثاني ، ص٥٥١ ، ٥٥٢.

٩٢-القلقشندي : المصدر السابق ، الجزء الثالث ، ص٥٩١ ، الجزء الرابع ، ص٤٩.

المقريزي : المواعظ والاعتبار ، الجزء الثاني ، ص٥٥٣، عبد المنعم ماجد : النيل فى رسوم الدولة الفاطمية ، ص١٣٧ ، ١٣٩.

٩٣-السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٧٤.

٩٤-المقريزي : المواعظ والاعتبار، المجلد الثالث ، ص٥٥٨، السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٤٦.

وقالوا أيضاً شعراً في إسدال الستر علي المقياس منه قولهم :

قلت له لما وفي موعدي مختفياً عن حاسد ومعتدي
رب كما فرحتني بالوفا أسبل عليه الستر ياسيدي

انظر : السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٥٢.

٩٥-القلقشندي : مصدر سابق ، الجزء الثالث ، ص٥٩١ ، ٥٩٢، المقريزي : المواعظ والاعتبار، المجلد الثاني ، ص٥٥٤ .

٩٦-السيوطي : كوكب الروضة ، ص٢٦ ، ١٤٩، ابن عبدالسلام : الفيض المديد في أخبار النيل، ص٢٦.

٩٧-يطلق عليها القاتول لأن وقت نصبها كان يموت تحتها من الفراشين رجل أو رجلان

وكانت مساحتها حوالي مائة الف ذراع كبيرة وعمودا كان ارتفاعه خمسين ذراعاً ، وكان ينصب علي عدة أسافيل بأخشاب كثيرة ويضرب بحضور مهندسين ، وكان الصناع يجتمعون لصناعته لأنه يأخذ وقتاً وجهداً ، وكان يضرب منه القاعدة الكبيرة وأربعة دهاليز وتنصب في بر الخليج علي فم الخليج ، وكان يلف عمود الخيمة بديباج أحمر وأبيض وأصفر ويوضع عليه مرتبة الخليفة ، ويضرب لأرباب الرتب خيام علي قدرهم.

ابن المأمون : نصوص في أخبار مصر ، تحقيق الدكتور/أيمن فؤاد سيد ، ص٥٥، ٥٦

السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٥٩، القلقشندي : مصدر سابق ، الجزء الثالث ، ص٥٩٢.

٩٨-ابن المأمون : مصدر سابق ، ص٧٤، المقريزي : المواعظ والاعتبار ، المجلد الثاني ، ص٣٦٧ ، ٣٦٨.

٩٩-القلقشندي : مصدر سابق ، الجزء الرابع ، ص٤٩، ابن ظهيرة : مصدر سابق ، ص٢٠٠.

١٠٠- ابن إياس : مصدر سابق ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص٢٥١.

١٠١- ابن الميسر ، مصدر سابق ، ص١٦٠، المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، الجزء الأول ، ص١٣٩.

١٠٢- السيوطي : كوكب الروضة ، ص١٥٨ ، ١٥٩.

١٠٣- ابن إياس : مصدر سابق ، القسم الأول ، ص٣٢٤.

١٠٤- المقريزي : السلوك، الجزء الثالث، القسم الثاني، ص٧٨٧ ،٩٣ ، ٨٤١ ، ٨٦١ ، ٨٨١، الجزء الرابع ، القسم ٢ ، ص٧٣٤، الجزء الرابع ، القسم ٣ ، ص١٢٠٥، الجزء الرابع ، القسم الأول ، ص٦٨ ، ١٨٠ ، ٢٦٣ ، ٣١٨ ، ٣٦٠ ، ٥٣٦.

ابن حجر : أنباء العمر ، الجزء الرابع ، ص١٥٢ ، ١٥٤.

١٠٥- ابن حجر : المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص٢٣٨.

١٠٦- كما حدث ذلك خلال سنوات ٨٠٢هـ/١٣٩٩م ، ٨٢٦هـ/١٤٢٢م ، ٨٢٨هـ/١٤٢٤م، ٨٣٠هـ/١٤٢٦م، ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، ٨٤٣هـ/١٤٣٩م. انظر : المقريزي ، السلوك ، الجزء الثالث ، القسم الثالث ، ص١٠٢٢ ، ١٠٧٦، ١٠٧٨ ، ١١٦٣ ، ١٠٢٢ ، ١٠٧٦ ، والجزء الرابع ، القسم الثاني ، ص٦٤١ ، ٦٩٤ ، ٧٤٩ ، ١٠٦٩.

وكان من الممكن أن يخرج الأمراء لفتح الخليج قبل أن يوفي النيل وينقص عن الوفاء حوالي أربعة أصابع، كما حدث ذلك في حوادث ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، ٨١٢هـ/١٤٠٩م، انظر : المقريزى السلوك ، الجزء الثالث، القسم الثالث، ص١١١٥، ابن حجر ، أنباء العمر ، جـ٤ ، ص١٥٤.

١٠٧- ابن حجر ، أنباء العمر ، جـ٤ ، ص١٥٤ ، ٢٢٦.

١٠٨- ابن المأمون ، مصدر سابق ، ص٧١، المقريزي : المواعظ ، المجلد ٢ ، ص٥٤١.

هناك هبات كانت تمنح للخليفة وأعوانه يوم فتح الخليج ، فكان للخليفة تختان ضمنهما بدلتان إحداهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضئ ، والأخري بالحرير وما يخص أخوته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة برسم الوزير بدلة مذهبة في تخت ولأولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة.

١٠٩- المقريزى، اتعاظ الحنفاء، الجزء الأول، ص٦٨، ١١٩، ١٢٩ ، ١٤٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٤.

١١٠- ابن المأمون ، مصدر سابق ، ص٧٢، المقريزي ، المواعظ ، المجلد الثاني ، ص٥٤٢، السيوطي ، كوكب الروضة ، ص١٥٩.

وقد ذكرت المصادر في موضع آخر تفاصيل هذه الخلع التي خصصت لابن أبي الردَّاد في عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م عند وفاء النيل حيث خلعت عليه خلعة ديبقية مذهبة ورداء محشو مذهب وأيضاً عمامة شرب مذهبة ، وحمل علي بغلتين مسرجتين ، ذات لجامين مذهبين ، ومنح ست عشرة قطعة ثياب ، وثلاثة آلاف درهم . انظر :

المسبحي : مصدر سابق، ص٢٤٦، المقريزي : اتعاظ ، جـ٢ ، ص١٥٠.

١١١- نصوص في أخبار مصر ، ص٥٥ ، ٧٤، المقريزي : المواعظ، مجلد ٢، ص٣٦٨، ٥٤٤.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المخطوطات :

- مجهول
- الروضة والمقياس ، الرقم العام ١٤٧ ، الرقم الخاص ٢٤٨ مكتبة السيدة زينب، تاريخ النسخ ١١١٣هـ، الناسخ محمد حمادة.
- المنوفي (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد السلام بن موسي ت ٩٣١هـ/١٥٢٤م).
- الفيض المديد في أخبار النيل السعيد ، دار الكتب المصرية رقم ٤٢٩ جغرافيا ، ميكروفيلم ٤٥٧٦٢.
- ميخائيل نقولابن إبراهيم الصباغ
- المقياس في أحوال القياس ، دار الكتب المصرية ، تاريخ تيمور ٣٧٤ ، رقم الميكروفيلم ٥٤٩١٨.

ثانياً : المصادر العربية :

- ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي أبو البركات ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) :
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول ، القسم الأول.
- البغدادي (موفق الدين عبد اللطيف ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) :
- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، عرضه الدكتور / عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ت٨٧٤هـ/١٤٧٠م):
- حوادث الدهور في مدي الأيام والشهور ، تحقيق الأستاذ فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ١٩٩٥.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :
- الانتصار لواسطة عقد الامصار ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، بدون تاريخ.
- ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م) :
- إنباء الغمر بأنباء العمر في التاريخ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت سنة.
- الجزء الثاني ، تحقيق د/ حسن حبشي ، القاهرة ١٩٩٤م الجزء الرابع ، طبعة ١٩٩٨م، والجزء السابع ، طبعة بيروت١٩٨٦م.
- ابن زولاق : (الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) :
- فضائل مصر وأخبارها وخواصها ، تحقيق الدكتور على عمر.
٧- السيوطي : (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن ت٩١١هـ/١٥٠٥م) :
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار الفكر ، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٩م.

- كوكب الروضة ، تحقيق د/ محمد الششتاوي، دار الأوقاف، القاهرة ٢٠٠١م.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، طبع بمطبعة إدارة الوطن ، بمصر ١٢٩٩هـ.
- أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م) :
- الروضتين في أخبار الدولتين، بدون تاريخ.
- ابو الطوير (أبو محمد المرتضي عبد السلام بن الحسن ت٦١٧هـ/١٢٢٠م) :
- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، تحقيق د.أيمن فؤاد سيد ، دار صادر ، بيروت الطبعة الأولي ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ابن ظهيرة (أبو اسحاق برهان الدين بن علي ت٨٨٨هـ/١٤٨٣م) :
- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق د.مصطفي السقا ، دار الكتب القاهرة ١٩٦٩م.
- ابن عبد الحكم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن الحكم القرش ت٢٥٧هـ/٨٧٠م):
- فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، طبعة ١٩٦١م.
- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) :
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، بيروت الطبعة الأولي ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ،
- صبح الأعشي فى صناعة الإنشاء ، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأول ١٩٨٧م.
- الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي ت ٣٥٠هـ/١٩٦١م):
- كتاب فضائل مصر ، الطبعة الأولي ١٩٨٧م.
- ابن المأمون (جمال الدين أبو علي بن موسي البطائحي ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م) :
- نصوص من أخبار مصر ، تحقيق ايمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٣م.
١٦- المسبحي (تاج الدين محمد بن يوسف بن جلب ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م) :
- أخبار مصر في سنتين ٤١٤-٤١٥هـ ، تحقيق وليم ج ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.
- المقريزي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) :
- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال، الجزء الأول ، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٦م، الجزء الثاني والثالث ، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ، القاهرة ١٩٩٦م.
- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، حققه وكتب مقدمته الدكتور أيمن فؤاد سيد، المجلد الأول، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ٢٠٠٢م ، المجلد الأول ، المجلد الثاني.
- ابن ميسر (تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م):

- المنتقي في أخبار مصر ، حققه د/ أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للاثار الشرقية ، القاهرة ١٩٨١م.
- ناصر خسرو (أبو معين الدين ت ٨٤١هـ/١٠٨٨م):
- سفر نامة ، نقله إلي العربية د.يحيي الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولي، القاهرة ١٩٤٥م.

المراجع العربية والبحوث:

- أحمد عبدالحميد يوسف (دكتور):
- مصر في القرآن والسنة ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٩٩م.
- أمين سامي باشا :
- تقويم النيل ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٦م.
- أيمن فؤاد سيد (دكتور):
- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ٢٠٠٠م.
- إيهاب أحمد إبراهيم :
- مهندس مقياس النيل (معلومات جديدة في ضوء النقوش الكتابية للمقياس ، حوليات إسلامية ، العدد ٣٩) المعهد العلمي للآثار الشرقية بالقاهرة ، عام ٢٠٠٥.
- رشدي سعيد :
- نهر النيل نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل ، دار الهلال ، الطبعة الثانية ١٩٩٢.
- سعيد عبدالفتاح عاشور (دكتور) :
- الفلاح والإقطاع في عصر الأيوبيين والمماليك ، ندوة الأرض والفلاح في مصر علي مر العصور ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ١٩٧٤م.
- سيدة الكاشف (دكتور):
- الأرض والفلاح في مصر الإسلامية، ندوة الأرض والفلاح في مصر علي مر العصور، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة ١٩٧٤م.
- عبدالمنعم ماجد (دكتور):
- النيل في رسوم الدولة الفاطمية في مصر ، بحث ضمن بحوث القيت في الندوة الدولية لحوض النيل – مارس ١٩٨٧م ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية- جامعة القاهرة.
- علي باشا مبارك :
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، الطبعة الثانية ، دار الكتب والوثائق، القاهرة ٢٠٠٧م.
- عمر طوسون :
- كتاب مالية مصر في عهد الفراعنة إلي الآن ، مطبعة الاسكندرية ، الاسكندرية ١٩٣١م.